# الإنفجار الكبير
## بين النظرية والحقيقة

إن المعضلة تبقى أكبر من النظرية ذاتها : الإنفجار الكبير والتي باتت إحدى المسلمات التي لا يقبل العقل النقاش حولها ، مع أنها ليست إلا وسيلة أراد من خلالها الملحدون التشكيك في الخالق المبدع وبناء الكون على العشوائية ، إنفجار عشوائي ينتج عنه نظام في أقصى ما يمكن للعقل أن يتخيله من الدقة والتنظيم والابداع المذهل والتعقيد . وكأنهم يتصورون أن إنفجاراً هائلاً حدث في مستودع للخردة المختلفة، نشأ عنه بعد زوال الدخان والغبار ملايين السيارت المتنوعة والمتقنة والمتطورة .العشوائية من الانفجار الكبير هي الهدف من وراء هذا الطرح.وللأسف التقط علماء أمتنا هذه النظرية ليهتفوا بها لما وجدوا ذلك متقاربا لفظاً مع قوله سبحانه (أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما ) والمعضل في تفسير هذه الآية أن الذي تولاه علماء ربما في الفلك والفيزياء الكونية أو الكيمياء النووية الخ ، ولم يشترك معهم علماء التفسير واللغة .وكذلك الفلاسفة المسلمون المعتد بهم .

المهم ما هي الإشكالات على نظرية الانفجار عدا الافتراض بأن العشوائية يمكن أن تنتج تنظيماً دقيقاً:

(1) من أين أتت المادة

(2) لماذا اندمجت المادة كلها في جرم واحد(راجع لافوازيه)

(3) ما هي المدة التي كانت المادة الكونية كلها مندمجة في كتلة واحدة

(4)كيف يمكن للمواد المختلفة والتي لا يعرف عددها ولا كمها أن تكون في كتلة واحدة ،

(5) هل كانت المادة متفاعلة أي أن الكتلة التي حوت جميع المادة في الكون هل كانت على شكل جميع أي كل مادة كما هي بخواصها ولكنها تحت ضغط الجاذبية الهائل التحمت بجارتها من المادة المختلفة عنها دون أن تتفاعل معها (هذا أمر مستحيل أو مضحك أن نصدق به ) أم أنها قد تفاعلت كل المواد في مادة واحدة فما(راجع نظرية لافوازيه) هي وما اسمها وكيف لهم الدليل عليها .

(6)هل كانت المادة تملأ الفراغ الكوني ثم اتحدت ؟؟

(7) من أين جاء الفراغ الذي يتسع للمجرات وللمساحات الهائلة التي فوق التصور ،

(8) هل هذا الفراغ محدود أي مغلق أم أنه مفتوح بلا نهاية ؟ فإن كان بلا نهاية فقد ادعوا بوجود ما لا نهاية له من قبل أن يخلق الكون من قبل الانفجار من قبل التكوين . فإن كان الفراغ مغلقاً كيف لم ينفجر مع الانفجار الهائل المرعب وكذلك لو كان مغلقاً لوجب أن تبقى الحرارة الناشئة عن الانفجار ما دامت السماوات والأرض ، ثم أنه لو كان مغلقاً لاستحال حدوث الانفجار ولو حدث، فالضغط الناتج عن الانفجار الهائل في حيز مغلق كان كافياً لإعادة المادة المنبعثة عن الانفجار إلى مركزها كردة فعل .

(9)ولو أننا سلمنا بنظرية الانفجار الكبير فلماذا اختلفت الأجرام والكواكب ما بين حار وبارد وبين ملتهب متفجر وبين كواكب من الجليد والماء المتجمد ومن أين جاء الماء وكيف حدث

ومن أين جاءت الخلية الحية وكيف نشأت تلك المواد المختلفة من أصل واحد ، إلا أن يقولوا حينها بأن المادة قد تطورت وفق نظرية داروين ، وأن التفاعل قد بدأ من ذرة هيدروجين وهكذا تستمر الدوامة إلى مالا نهاية .إن مجرد تسليمنا بفكرة الانفجار الكبير فيما أراه أنا ولا أدعوا أحداً للإيمان بها ، أراها كمن أمسك بيد كفيف يشده إلى حفرة ليقع فيها .حفرة أولها نظريات وآخرها إلحاد .

مشكلتنا نحن المسلمون أننا نعتمد منذ قرون على أبحاث الملحدين لاهثين وراء أدلة نوثق به إيماننا و نبرهن بها على صحة كتابنا معتمدين على نظريات هم من جاء بأسسها ، فماذا لو جاء هؤلاء بعد عدة سنوات ليقولوا أن نظرية الانفجار الكبير نظرية خاطئة وأن العلم أثبت غير ذلك ؟ فما هو موقف العلماء حينها وقد رأوا أن برهانا لهم على صحة كتابهم الذي يؤمنون به قد سقط ؟

أما بخصوص الزمن الذي اعترضتم عليه 33 مليارا من السنين كما أن هذا لا يعني أنهم قد اكتشفوا آخر حد من حدود الكون . ولا يعني أن ما لا علم لنا به ليس موجوداً فجهلنا بالشيء لا يعني عدم وجوده ، حتى لو كانت المجرة تلك على مسافة زمنية أقرب من هذا ، تبقى المعضلة هي هي ؟ ما المشكلة ، احسب السرعة التي وصلت بها تلك المجرة حيث هي كاملة مجرة من كواكب وأقمار وشموس وسدم الخ ...احسب كم استغرقت من السنين لتتكون ، وكم استغرقت من السنين ليصل ضوؤها إلينا عام 2012 لا بد أن المادة قد سافرت بسرعة أضعاف سرعة الضوء وهذا ما رأه مستحيلاً السير آينشتاين وغيره من العلماء .إذاً فلا مفر من القول بأن التكوين قد تم كل سماء وكل جرم في مكانه.ونفهم هذا جلياً من قوله تعالى في فصلت ( ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَ هِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَ أَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَ حِفْظًا) هل تجدون أوضح من هذه الآية دليلاً على التسلسل في الخلق والحكمة والتنظيم ( ماذا حدث) خلق الله الأرض وقدر فيها أقواتها ثم ...ثم استوى إلى السماء وهذا لا يكون ولن يكون ناشئاً من نواشيء الانفجار الكبير بل هي آلية منظمة ودقيقة وخلق كل في رتبته وكل في مكانه ومساره وفلكه هذا أقرب للفهم وأدعى لأن نفهم قدرة الخالق العظيم لا أن ننسب إليه العشوائية أو الفوضى الخلاقة سبحانه عما يقولون علواً كبيراً ، فثم : تفيد التسلسل ولا تفيد الفورية ، كما نقول جاء زيد ثم عمر ، فالتسلسل معلوم والمدة مجهولة هنا .لهذا كان حرياً بعلمائنا الأفاضل ان لا ينبروا للخوض في علوم القرآن والإعجاز العلمي دون الرجوع إلى علماء القرآن و التفسير واللغة ، بل علينا أن نوجد رابطة متكاملة وهيئة علمية تبحث في الاعجاز العلمي على أسس علمية ناضجة . وليس كما نجده اليوم في هيئة الاعجاز العلمي التي انبثقت عن رابطة العالم الإسلامي . فهي أعجز من غيرها أن تبحث في الاعجاز العلمي.لا تعارض بين الإيمان والعلم ، صحيح ولكن بين الصحيح من العلم والثابت وليس ما هو نظري ولم تقم له حجة ولم يثبت له برهان.

لنأت الآن إلى قوله تعالى (أولم ير الذين كفروا أن السماوات (هنا جمع سماء ) والأرض (الأرض مفردة ) كانتا (مثنى ) ففتقناهما (مثنى) لماذا؟ لقد جعل الله سبحانه وتعالى السماوات ، والأرض عنصرين مختلفين ، لهذا ثناهما فهما كونان مختلفان .(ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح) فالكواكب والمجرات التي تضيء وتزين السماء إنما هي في السماء الدنيا وليست

هي السماء ذاتها. كما قال سبحانه وتعالى(فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان) وقال سبحانه(وإذا السماء انشقت) وقال سبحانه(وإذا السماء انفطرت) أي تقطعت وتشققت، وهذا لا يكون إلا لجسم واحد متماسك شفاف لا يرى ولا يمكن معرفته وربما يكون هذا ما يسميه العلماء اليوم المادة السوداء Dark mass وهي تمثل أكثر من 80% من مادة الكون المكتشفة حتى الآن أي أن جميع المادة والطاقة المعروفة للإنسان لا تمثل أكثر من 15% من مادة الكون. وقد أفردت رسالة عن المادة السوداء.

ثم أن المغالطة في تنزيل نظرية الانفجار الكبير على مفهوم الآية الكريمة مغالطة كبرى، لأن القائلين بهذا قد جعلوا في فهمهم هذا أن السماوات هن سائر الأجرام والمجرات والكواكب غير الأرض ؟ وفي هذا خطأ كما هو منطقي هوعلمي أيضاً فمن ذا الذي يزعم أن سبحانه وتعالى قد جعل اسم السماوات هو اسم لسائر الأفلاك والأجرام .؟.وما برهانه على هذا ؟ وخطأ علمي بمعنى أن السماء ليست كما زعموا هي المجرات والكواكب ، بل هي عالم آخر عالم فيه الملائكة والروح ، عالم لم نحط به علماً ولا وسيلة لنا لنعلمه ، ولو أراد سبحانه للناس أن تحيط به علماً لما حجبه عنهم مع ملاحظة أن أصل كلمة سماء في اللغة العربية هي كل ما علا فوقك ، وقد وردت في القرآن الكريم بمعنى الكون كله حين قال سبحانه وتعالى وترد سماء مفردة لتفيد معنى السماوات ، وترد جمعاً لتفيد معنى السماء الواحدة . وإذا أفردت السماء دلت على الجميع وجميع ما فيها فالأرض والمجرات وكل شيء داخل تحت مسمى السماء الدنيا كما سبق ذكره في الآية (يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده ) .

فما قول العلماء المسلمين في معنى قوله تعالى (ألم تر أن الله سخر لكم ما في والأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم) فقوله سبحانه(يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه) واضح الدلالة على أنه لو لم يمسك السماء لوقعت على الأرض ، أي أن فعل الإمساك يلغي قوة جاذبة نحو الأرض وليس بالعكس وكأنه والله أعلم أراد أن يبين لنا قوة عظيمة تسحب أو تجذب السماء إلى اتجاه عكس اتجاه المركز من جميع الاتجاهات وكأنه قد جعل الأرض مركزاً يتوسط السماء فلو كانت القوة الجاذبة باتجاه معين لوقعت السماء على الأرض من اتجاه معاكس. لذا فواضح أن الأرض هي مركز السماء وليست على طرف من أحد أقطارها والله أعلم.